– «وكتبت لي اختي رداً طويلاً تقول فيه انها معجبة بالسيد كلاشينكوف! هكذا من واجبك ان تدعوه، السيد كلاشينكوف (...) وقد أكدت لي انه سيد، وليس من العيب أن يكون السيد جميلاً، طالما هو يتمتع بكل تلك القوة» (ص١١٩).

– «انه دورك أيها الكلاشينكوف الغالي، انه دورك الآن، فلتنطلق، ولتفتك بهؤلاء الابالسة الملاعين!» (ص١٢٧).

– «... لم يكن الا قوس قزح اطلقته بازوكا عاشقة» (ص١٦٢).

□ □ □

وتأتينا رواية «**العصافير لا تموت من الجليد**»[٦] لتمثل أرقى اشكال الوهم الروائي وصورته المثلى لدى أفنان القاسم، ذلك الرقي الذي يعبّر عن أدنى مراتب الكتابة التي توصل إليها قلم الكاتب.

تسير الرواية في ثلاثة خيوط متوازية تلهث لأن تقنعنا بتقاطعها وتلاقيها عند نقاط محددة، بعد أن كانت قد عجزت عن إقناعنا بذاتها كخيوط حقيقية تمد أدنى صلات مع الواقع. فيبقى كل خيط وهماً مستقلاً لذاته.

الخيط الأول، في الرواية، يصور حياة المغتربين من الطلاب والعمال العرب في باريس الاحياء الفقيرة ومشاركتهم في النضالات العمالية الفرنسية التي تصل إلى ذروتها باحتلال المصانع. أما الخيط الثاني، فيقفز الكاتب، من خلاله، إلى الحزب الأهلية اللبنانية مركزاً على معركة الصمود في تل الزعتر، دون أن يفوته التنويه بالتحركات العمالية اللبنانية التي استبقت انفجار الحرب. ومنها يقفز الكاتب إلى خيطه الثالث الذي يقدم فيه نماذج من نضالات الشعب الفلسطيني وتصديه لسلطات الاحتلال.

ويفتعل الكاتب عبارات يهدف، عبرها، إلى تحقيق عملية الربط بين خيوطه الثلاثة، مثل:

– «الآن يريدون ذبحك في بيروت، لأنهم يريدون ذبح أخيك في باريس. وباريس ربيع، وبيروت ربيع، والقدس ربيع، والمذبح واحد!» (ص٩٤).

– «... عادت لمارتين ابتسامتها، وعاد لها نشاطها، وأخذت تدعم حركتنا، وصمود حركتنا في المصنع بحماس، [في باريس]. وفي تل الزعتر، وانتنا الانباء تحكي عن انتفاضة شعبنا في الأرض المحتلة» (ص٢١٤).

أما عن «الشخصيات» و«رمزيتها»، فثمة منها فيض هائل يصعب حصره، دون أن يتوقف الكاتب عن الاشارة المباشرة لمعنى الشخصية ورمزها... «كانت مارتين فرنسا، وفرنسا مارتين» (ص١٢٠). وتعود الام المقيمة في الأرض المحتلة لتكرر من جديد الرمز ذاته الذي استهلكه الكاتب حتى الابتذال – رمز الأرض والوطن –... «تلك الام التي لا تتحمل الآلام فقط بل تقدر على تحملها، هذه القدرة على تحمل الآلام هي من صفات